اللين في خطابات بعض الأنبياء والصالحين

في ضوء الآيات القرآنية

أ.م.د. ياسر حسين مجباس

جامعة الفلوجة

كلية العلوم الإسلامية

dr.yaser.hussan@uofallujah.edu.iq

ISSN: 2071-6028

مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية

عدد خاص بالمؤتمر الدولي الأول لجامعة الأنبار الموسوم (الاعتدال في الخطاب الديني والسياسي وأثره في تعزيز التنمية المجتمعية)

١٠/٣١ - ١١/١ ٢٠١٨ م

مجلة علمية فصلية محكمة

ISSN: 2071-6028

اللين في خطابات بعض الأنبياء والصالحين في ضوء الآيات القرآنية

أ.م.د. ياسر حسين مجباس
جامعة الفلوجة/ كلية العلوم الإسلامية

ملخص باللغة العربية

جاء هذا البحث ليعالج بطريقة العرض الموضوعي ما أصاب منابر أمتنا الإسلامية من خطابات حمقى متعصبة وجاهلة، تسلطت على الإعلام ووسائله، وأصبحت معلنة أمام الناس بحجة الدين أو بالسياسة أو بالقومية، فغاب العقل والفطرة والعاطفة، وكدنا لا نسمع تلك العبارات المليئة بالحنان واللين واللطف، ومما يؤسف له أن بعض أصحاب هذه المنابر هم المتزينون باسم الدين، وكأنهم فاتهم من الآيات القرآنية الكريمة التي جاءت على لسان الأنبياء والصالحين وسمتها الواضحة بالخطاب اللين الهادئ. جاء هذا البحث ليكون دليلاً واضحًا من الأدلة على سماحة الإسلام وأنه دين رحمة وعطف ولين، لا عداء ولا ظلم ولا انحراف فيه. لم يكن الخطاب اللين يوما خاصا بفئة معينة، كما سيتبين ذلك في أثناء عرض الآيات القرآنية التي ذكرتها وهي كنماذج لبعض الخطابات التي يتضح فيها الرفق واللين مع جميع ألوان المخاطبين، سواء كان فردًا أم مجتمعًا، مؤمنًا أو كافرًا، بل حتى إن كان صغيرًا .

الكلمات المفتاحية: لين ، خطاب ، أنبياء

Moderation in the speeches of some prophets and righteous in the light of the Quranic verses

Ass. Prof. Dr. Yaser Hussain Mejbas Al-Azawy

Abstract

This research comes to deal with the objective presentation of what has hit the platforms of our Islamic nation from the speeches of fools, fanatic and ignorant, which have dominated the media, and become public on the pretext of religion or politics or nationalism. The mind, instinct and emotion have disappeared, and we do not hear those words filled with tenderness and kindness. It is regrettable that some of these platforms' speakers are adorned with religion, as if they were missing the Quranic verses of the soft quiet speech that had circulated with the words of the prophets and the righteous. This research comes as a clear evidence of the tolerance of Islam and that it is a religion of mercy, kindness and leniency, no hostility, no injustice, no deviation in it The soft discourse has never been a day for a particular group, as will be seen in the presentation of the Qur'anic verses that I have mentioned as examples of some of the speeches in which all colors of the addressees, whether in groups and individually, believer or infidel, even child.

Keywords: softness , Speech, Prophets

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرؤوف الرحيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد..

فإنَّ للخطاب اللّين أثرًا في القلوب والأرواح، فهو مفتاح لجميع الأبواب، وهو مدعاة للطاعة والتسليم، فلين الرجل في خطابه يفوق اللؤلؤ روعة في صدفه، وإن المخاطبة مع الناس لها آداب ووسائل لابد أن يتصف بها كي يبلغ الأمل المنشود، والغاية من الخطاب، والتي من أسماها العمل والصلاح.

وللين في الخطاب فوائد جمة، ودور مهم في توجيه الناس إلى القيم والأخلاق الحميدة والمبادئ السامية، وأثر كبير في تقويم التصرفات الإنسانية المنحرفة، وهداية الضالين إلى الصراط المستقيم، وإرجاعهم إلى الحق، ولاسيما في مثل هذا الزمن الذي انتشرت فيه الفتن، واستشرت فيه وسائل الحرام.

لقد انحرف الخطاب بكل أشكاله ولاسيما الديني عن مساره الصحيح، وأصبحت الكلمات القاسية والعبارات الطائفية سائدة، فانقلبت غايته من التأثير الإيجابي إلى السلبي، والحب إلى الكراهية، والتفاعل إلى الإنكار والتجاهل، مع أنَّ لنا أمثلة رائعة في ديننا وتراثنا الإسلامي تخالف ما نراه، وتضاد ما نسمعه، فظهرت الرويبضة[1] والجماعات والأحزاب التي تدعي أنها تمثل الدين، لذا جاء بحثي هذا ليعيد الحق إلى نصابه بذكر بعض النماذج من الخطابات القرآنية والتي جاءت على لسان الأنبياء والصالحين؛ لتكون نموذجًا يقتدى، ودرسًا لمن يسير على هداهم، ويتبع منهجهم، يظهر فيها اللين ظهور الشمس، ويفوح منها كما يفوح المسك والعنبر؛ إذ الاستعطاف واللين في الخطاب رغّب فيه الشارع الحكيم، وحثّ عليه، وهو السمة العليا، والخطوة الأولى التي يجب أن يخطوها الداعية إلى الله تعالى، وليس هذا يعني أنه لا يوجد الحدّ والحزم في بعض الخطابات؛ إذ "لكل مقام مقال"، ولكل دواء داء، ولكل حال ما يناسبه.

مشكلة البحث: لقد أصاب هذه الأمةَ مصائبُ شداد، وويلاتٌ متتاليات، وضاقت الارض بخطابات الحمقى بكل تعصب وجهل حتى تسلطوا على الناس بحجة أو بأخرى، فغاب خطاب العقل والعاطفة، وذهب عن أسماع الناس عبارات الحنان واللين واللطف، وسادت كلمات التهديد.

---

(١) الرويبضة: ورد ذكرهم في الأحاديث الصحيحة، كرواية الإمام أحمد في مسنده: ٢٨/٨ برقم (٧٨٩٩) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنها ستأتي على الناس سنون خداعة ويصدق فيها الكاذب، ويكَذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرُّويبضة"، قيل: وما الرويبضة؟، قال: "السفيه يتكلم في أمر العامة. قال الشيخ شعيب: اسناده حسن.

ISSN: 2071-6028

ومما يؤسف له أن بعض هؤلاء هم المتزينون باسم الدين، التالون لآيات رب العالمين، وقد فاتهم كثيرًا من آيات القرآن الكريم المليئة بخطابات الأنبياء والصالحين؛ لتكون درسًا بليغًا لمن يسير على هداهم، ويتبع منهجهم، وهو من أبرز سمات الخطاب المؤثر والناجح.

هدف البحث: جاء هذا البحث ليعالج هذه المشكلة، وليكون دليلاً واضحًا من الأدلة على سماحة الإسلام وأنه دين رحمة وعطف ولين، وأنه الصفة الواضحة في تشريعاته النبيلة، ولذا كان موسوما: **(اللين في خطابات بعض الأنبياء والصالحين في ضوء الآيات القرآنية)**.

وسأسبق تلك النماذج بتعريف اللين لغة واصطلاحًا، ثم أسمو ببحثي بذكر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على اللين والعطف سواء في القول أو الفعل؛ كنماذج تذكير للدعاة واستئناس لكل الناس.

وعلى هذا جاء بحثي بمطلبين سبقتهما مقدمة وذيلتهما خاتمة.

أما المقدمة فها هي ذي اختصرتُ فيها أهمية الموضوع والفكرة التي من أجلها أنشئ البحث.

وأما المطلب الأول فكان لتعريف اللين لغة واصطلاحًا، وبعض الآيات والأحاديث النبوية الواردة في اللين.

وأما المطلب الثاني فلنماذج قرآنية من خطابات بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين رضي الله عنهم.

أما منهجي في الدراسة فإنها دراسة موضوعية.

ثم ختمت بحثي بخاتمة كانت لنتائج مستخلصة، وفوائد مهمة برزت لي في أثناء كتابة هذا البحث، هذا فإن كان من صواب فمن توفيق الله تعالى، وأستغفره وأتوب إليه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ISSN: 2071-6028

المطلب الأول: تعريف اللين لغة واصطلاحًا وبعض الآيات والأحاديث النبوية الواردة فيه

أولاً اللين لغة: هو مصدر للفعل (لانَ يلينُ)، تقول: "لانَ يلين لينًا ولِيانًا"(١)، وليّنت الشّيء وألنته وألينته، أي: صيّرته ليّنا، ومادّة (ل ي ن) دالّة على ما يخالف الخشونة، وهو ما يدل على النُعومة(٢)، والطَراوة، واللّيان: الملاينة والملاطفة، واستلنت الشّيء: عددته ليّنا، يقال: "هو في لَيانٍ من العيش، أي: "في نعيمٍ وخفض"(٣).

ثانيًا اللين اصطلاحا: لم تذكر كتب أهل العلم – فيما وقفت عليه– تعريفًا دقيقًا لمصطلح اللّين، وإنما قد اكتفى بعضهم بذكر المعنى العام والمستعمل على وجه العموم، والمتتبع بتأمل يجد أن مادة (اللين) لها استعمالات عديدة، فتارة تستعمل في المعاني كلين الطّبع ولين الجانب ولين القول، وتارة في الماديات كلين الشّمع ولين القماش وغيرهما، قال الرّاغب: " اللِّينُ: ضدّ الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام، ثمّ يستعار للخلق وغيره من المعاني، فيقال: فلان لَيِّنٌ، وفلان خشن، وكلّ واحد منهما يمدح به طورا، ويذمّ به طورا بحسب اختلاف المواقع"(٤).

ومن هذا نقول: تعامل بلين، أي: بسُهولة وطيب، وليكن طبعك طَبْعٌ لَيِّن، أي: لَطيف المُعاشَرة ليس فيه جَفاء، وهذا جِلْدٌ لَيِّنٌ، أي: مَرِن وطريّ، والملبس لَيِّن، أي: مُريح وناعِم الملمس.

وفي ضوء ما ذكر يمكن أنْ نخلص إلى أنَّ اللّين هو: كل ما شمل على السهولة والتلطّف والرضا والقبول عند المخاطب سواء كان في القول والحديث مع الناس، أم في معاملتهم، شريطة ألا يكون ذلك على حساب الحق، وإلا أصبح اللين مداهنة.

ثالثًا بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في اللين:

ورد كلمة اللين في القرآن الكريم في كثير من المواضع، وفيما يأتي بعض تلك النصوص، قال تعالى:

١. ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٥).

٢. ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾(٦).

---

(١) العين: ٣٣٣/٨ مادة لين.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٢٢٥ مادة لين.

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة: ٢١٩٨/٦ مادة لين.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ص٧٥٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٦) سورة طه، الآيتان: ٤٣و٤٤.

ISSN: 2071-6028

٣.﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾(١).

وقد جاءت السنة النبوية بكثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في اللين لفظًا أو معنى، وفيما يأتي بعضها:

١.عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: "أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: «بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ **تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ**، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ"(٢).

٢.عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، **هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا** وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ"(٣).

٣.عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، فَإِنَّمَا تَصُفُّونَ بِصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَحَاذُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ، **وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ**، وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى"(٤).

٤.عن عبدِ الله بنِ مُغَفلٍ ﷺ، أن رسولَ الله ﷺ قال: "إن اللهَ **رفيق** يُحِبُّ **الرِّفْقَ**، ويُعطِي عليهِ ما لا يُعطِي على العُنْفِ"(٥).

٥.عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ يُحْرَمِ **الرِّفْقَ** يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّه"(٦).

---

(١) سورة الزمر، الآية ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري: ١٣/٨ برقم (٦٠٣٢)، ومسلم: ٢٠٠٢/٤ برقم (٢٥٩١).

(٣) أخرجه مسلم: ٧٣/١ برقم (٥٢).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: ١٧/١٠ برقم (٥٧٢٤)، قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير كثير بن مرة.

(٥) أخرجه أبو داود: ١٨٥/٧ برقم (٤٨٠٧)، قال الشيخ شعيب: حديث صحيح.

(٦) أخرجه أبو داود واللفظ له: ١٨٧/٧ برقم (٤٨٠٩)، قال الشيخ شعيب: إسناده حسن، وأخرجه ابن ماجه إلا كلمة (كله): ١٢١٦/٢ برقم (٣٦٨٧)، قال الألباني: حديث صحيح.

ISSN: 2071-6028

المطلب الثاني: نماذج قرآنية من خطابات بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين في اللين

لا يستشعر المسلم حقيقة اللين إلا بعد أن يطلع على ما جاء في القرآن الكريم من نماذج صورها وذكرها لنا عن بعض الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والصالحين سواء كان في كلامهم أو في خطاباتهم بما يكون أسوة لمن أراد السير على هداهم، وسيقتصر بحثنا هذا على ذكر بعض النماذج وليست حصرية؛ لكثرتها وضيق ورقات البحث المحدود بزمن معين.

وسيكون ذكري في النماذج للأنبياء عليهم الصلاة والسلام أولاً، ثم للصالحين ثانيًا، بادئًا بذكر النبي محمد ﷺ لمقدمته في الفضل والفخر عليهم؛ فعن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ"(١).

أولاً: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

١) سيدنا محمد ﷺ:

يجمع الله تعالى القلوب على مَن كانت دعوته شعارها اللين والرفق، أما الغلظة والقسوة، فإنها أسرع بريد لابتعاد الناس وانفضاضهم عن الداعية، قال تعالى عن رسوله محمد ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ...﴾(٢).

لذا كان ولا بد للإنسان المسلم والداعية الناجح أن يكون لينا رفيقاً فيما يدعو إليه، وقد ضربت لنا سيرة رسول الله ﷺ أمثلة كثيرة تدل على لينه ورفقه فها هو ﷺ يخبر عن أشد الأيام التي لقيها فقال: "وكانَ أَشَدَّ ما لقيتُ مِنهم يومَ العقبَةِ، إذ عَرَضتُ نَفسي على ابنِ عبدِ يَالِيلَ بنِ عَبدِ كُلَالٍ، فلم يُجبنِي إلى مَا أَرَدتُ، فَانطَلَقتُ وأَنا مهمومٌ على وجهِي، فلم أَستفِق إلَّا وأَنَا بِقَرْنِ الثَّعالبِ(٣) فَرفَعتُ رَأسي، فإذا أَنا بسحابةٍ قَد أَظلَّتني، فَنَظَرتُ فَإذَا فيها جبريلُ، فناداني فقالَ: إنَّ اللهَ قَد سَمِعَ قولَ قَومِكَ لكَ، وما ردُّوا عَلَيكَ، وَقَد بعثَ إليكَ مَلَكَ الجبالِ لتأمُرَهُ بِما شِئتَ فِيهِم، فنادَاني مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يَا مُحَمَّدُ، فقالَ، ذلكَ فيما شِئتَ، إنْ شِئتَ أَن أُطبِقَ

---

(١) أخرجه مسلم: ١٧٨٢/٤ برقم (٢٢٧٨).

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية ١٥٩.

(٣) قرن الثعالب: وهو قرن المنازل، ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة. ينظر معجم البلدان: ٣٣٢/٤.

ISSN: 2071-6028

علَيهِمُ الأَخشَبَينِ؟ فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: بل أَرجو أَنْ يُخرجَ اللهُ مِن أَصلاَبِهِم مَن يعبدُ اللهَ وَحدَه، لا يُشرِكُ به شَيئًا"(١)، وقد كان يبدأ قبل المعارك التي أطاحت رؤوس الكافرين وملكهم، كان يبدأ باللين، فها هو يكتب كتابًا للروم يقول فيه: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ(٢)"(٣).

لقد ضرب نبينا الأكرم ﷺ أروع الأمثلة بالعبارات والأفعال مع أمته المليئة باللين والرفق والرحمة؛ ذاك لأنه رحمةً للعالمين.. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾(٤)، ومن الأمثلة الراقية في سيرة رسول الله ﷺ الدالة على عطفه ولينه في معاملته مع الناس أنه لما جاء أعرابيٌ فدخل الْمَسْجِد ورَسُول اللهِ ﷺ جالس فيه مع أصحابه، فقام الأعرابيُّ "يبولُ في المسجدِ، فقالَ أَصحابُ رسولِ الله ﷺ: مَهْ مَهْ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: لَا تُزرِمُوهُ(٥) دعوهُ، فتركوهُ حتَّى بالَ، ثُمَّ إِنَّ رسولَ الله ﷺ دَعَاهُ فقالَ لَهُ: إِنَّ هذهِ المساجدَ لا تَصلُحُ لشيءٍ مِنْ هذا البَولِ، ولا القَذَرِ إِنَّما هيَ لِذِكرِ الله عَزَّ وجلَّ، والصَّلاةِ وقراءَةِ القُرآنِ، أَو كما قالَ رسولُ الله ﷺ قال: فأَمَر رجلًا مِنَ القَومِ فجاءَ بِدَلْوٍ مِن ماءٍ فَشَنَّهُ عليهِ"(٦).

فمع أن مكانة المسجد عالية وقدسيته لا يجابهها مكان، إلا أن المسلم أسمى وأعلى مكانة منه، قال القاضي عياض: "في هذا الحديث الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه بغير تعنيفٍ ولا سَبٍّ، إذا لم يأتِ ذلك استخفافًا وعن علمٍ، بل بيَّن له برفق وعلمه ما للمساجد من حرمةٍ وحقٍّ"(٧).

---

(١) أخرجه البخاري: ٤/ ١١٥ برقم (٣٢٣١)، ومسلم: ١٤٢٠/٣ برقم (١٧٩٥).

(٢) الأريسيين: هُوَ جَمْعُ أَرِيسِيٍّ وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى أَرِيسَ بِوَزْنِ فَعِيلٍ، والْأَرِيسُ: الْأَكَّارُ أَيِ الْفَلَّاحُ، أو هُوَ الْأَمِيرُ، وتكون النسبة نسبة اتباع الامراء. ينظر فتح الباري لابن حجر: ٣٩/١.

(٣) أخرجه البخاري: ٩/١ برقم (٧)، ومسلم: ١٣٩٣/٣ برقم (١٧٧٣).

(٤) سورة الانبياء، الآية ١٠٧.

(٥) تزرموه: لا تقطعوا عنه بوله، فالإزرام: القطع، ومنه يقال: أَزْرَمَ بَوْلَه: قطعه. ينظر العين: ٣٦٥/٧ مادة زرم.

(٦) أخرجه مسلم: ٢٣٦/١ برقم (٢٨٥).

(٧) إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٢/ ١٠٩.

ISSN: 2071-6028

٢) نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام:

لبث نبي الله نوح عليه السلام مع قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا طالبًا منهم طلبًا واحدًا وهو توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(١)، وهو شعار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم أجمعون، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(٢)، وقد اتبع نوح عليه السلام أساليب كثيرة ومختلفة في الدعوة إلى الله تعالى، فمن العلنية إلى السرية، ومن الليل إلى النهار، ومن الدعوة العامة إلى الدعوة الفردية، ومن الحجة والدليل إلى الترغيب والترهيب، كل ذلك وغيره كان لنبي الله نوح مع قومه.

والذي يعنينا في بحثنا هذا أسلوب نبي الله نوح عليه السلام بالتلطيف، وعبارات اللين والمحبة، فقد كان يرغب قومه في ما يحبونه، مستخدما عبارةً تقرب قلوبهم ليقبلوا دعوته، مناديًا لهم بـ (يا قوم).

ثم إنه يرغبهم –إن هم آمنوا– بما يحبه الناس من خيرات الدنيا، فقال لهم: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾(٣)، فالناس يحبون المطر ويريدونه، ففيه حياة الناس جميعًا، ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ وهي مما يحبه الناس، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾(٤)، ثم أضاف لهم خيرات الآخرة فقال: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٥).

هذا هو اللطف واللين، دعوة وتحبيب وترغيب ووعد بما يحبه الناس ويتمنونه.

ولما أن رأى نوح من قومه الإعراض حتى يئس من إيمانهم، أتت ساعة الفراق، والتي لا مردَّ لها، تلك عقوبة الله تعالى لهم بالإغراق والهلاك، ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا...﴾(٦).

---

(١) سورة المؤمنون من الآية ٢٣.
(٢) سورة الانبياء: الآية ٢٥.
(٣) سورة نوح: الآيتان: ١٠–١١.
(٤) سورة نوح: من الآية ١٢.
(٥) سورة نوح: الآيتان ٣–٤.
(٦) سورة هود، جزء من الآية ٤٠.

ISSN: 2071-6028

هنا نادى نوح عليه السلام قومه راجيًا منهم الإيمان، ووصل النداء إلى ابنه الذي رفض الصعود إلى سفينة النجاة، قائلاً لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾، مذكِّراً له بالبنوة مع صيغة التصغير الدالة على التحنن والتعطف، لكنَّ لم يكن للابن إلا فظاظة الجواب، فلم يقدم الابن بما يليق مع أبيه، بأن يقول: يا أبت، إنه لم يلن ولم يتأدب مع أنه رأى من الآيات العظام.

ثم قال نوح عليه السلام بعد أنْ ناداه: ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[١] أي: أسلم واركب في السفينة معنا، ولم يقل: اركب في الفلك؛ لتعينها مع إغناء المعية عن ذكرها[٢]، وفي قول نوح عليه السلام لابنه: (اركب معنا) كناية عن دعوته إلى الإيمان بطريقة العرض والتحذير[٣].

ظلت البنوة العاقة صامتة لا تشعر بالأبوة الملهوفة، فيقابل الفتى المغرور الأب المشفق بأنه سيجد له فرصة للنجاة، فقال: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي﴾[٤] ويحميني بارتفاعه ﴿مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾، ظنًا منه أنَّ ذلك كسائر المياهِ في أزمنة السيولِ المعتادةِ التي ربما يُتّقى منها بالصعود، وأنى له ذلك وقد بلغ السيلُ الزبى، وجهلاً بأن ذلك إنما كان لإهلاك الكفرة، وألا محيص من ذلك سوى الالتجاء إلى ملجأ المؤمنين[٥].

٣) نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

لقد طرق نبي الله إبراهيم عليه السلام في دعوته إلى الله تعالى مع قومه عامة، ومع أبيه خاصة وسائل اللين والعطف ما لا يخفى على أحد، وهو ديدن الدعاة والمربين الصادقين وعادتهم، وقد حكى القرآن الكريم ما حدث مع إبراهيم عليه السلام من محاورات ونقاشات، مع قومه ومع الملك الطاغية، ومع أبيه وكلها كانت دروساً وفوائد، لتكون منهاج حياة لمجتمع يريد السلام والأمان.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾[٦]. "يَا أَبَتِ"، عبارة مليئة في غاية اللين واللطف والتودد، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا

---

(١) سورة هود، جزء من الآية ٤٢.
(٢) روح البيان: ١٣١/٤.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٦/١٢.
(٤) سورة هود، جزء من الآية ٤٣.
(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢١٠/٤.
(٦) سورة مريم، الآية ٤٢.

سَوِيًّا﴾(١). ولم يقل: أنا عالم وأنت جاهل، مظهرًا شفقته على أبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾(٢).

مما جرى من تلك المحاورات ما روت اللطف واللين من جانب، والقسوة والغلظة من جانب آخر، من ابن رحيم بارّ ناصح، وأب قاس متعنت متكبر، تبين صِدْق إبراهيم عليه السلام في نبوته بأنه قد دعا أباه إلى الحق المبين، فها هو ذا بدأ حواره باللطف والاحترام، واستجلاب قلب أبيه بأنه ينتسب إليه، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾(٣).

وقد ابتدأ إبراهيم عليه السلام حواره بعد عبارة اللطف واستجلاب العطف واللين: ﴿لِمَ تَعۡبُدُ﴾، وهو صيغة استفهامية جيء بها للإنكار على فعل الأب والقوم، والتوبيخ لهم على ما يفعلون(٤)؛ لأن العاقل لا يفعل فعلاً إلا من أجل فائدة مرجوة، وفي هذا تنبيه على عقم فعله، أو قد يكون مراداً بالاستفهام المجاملة واللطف والرفق واللين في النصح له(٥).

وإنما بدر من إبراهيم عليه السلام السلام على أبيه كمن يخاطب سفيهًا جاهلاً، وهو كما قال تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾(٦)(٧).

ولم يكتف إبراهيم بالسلام على أبيه، وإنما وعده بالاستغفار فقال: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾(٨)، أي: سأسأل لك ربي هدايتك للإيمان ويغفر لك(٩)، أو: أسأله لك توبة تنال بها مغفرته(١٠)؛ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾(١١)، أي إن ربي لطيف بي أشد اللطف. فالحفي: البر اللطيف

(١) سورة مريم، الآية ٤٣.
(٢) سورة مريم، الآية ٤٦.
(٣) ينظر: البحر المحيط: ٢٦٨/٧.
(٤) ينظر: فتح القدير: ٣٣٥/٣.
(٥) ينظر: نظم الدرر: ٥٣٦/٤.
(٦) سورة الفرقان: جزء من الآية ٦٣.
(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٣٥/٥.
(٨) سورة مريم، جزء من الآية ٤٧.
(٩) ينظر: البحر المحيط: ٢٧١/٧.
(١٠) ينظر: زاد المسير: ٢٣٧/٥.
(١١) سورة مريم، جزء من الآية ٤٧.

ISSN: 2071-6028

الذي يعتني بالشيء أشد الاعتناء[١]، ومنه الحَفاوَةُ وهي: "المبالغة في السؤال عن الرجل والعنايةِ في أمره"[٢].

ولما كان في قول الأب: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾[٣] فظاظة وقساوة قلب، قابله إبراهيم عليه السلام بالدعاء له بالسلام والأمن، ووعده بالاستغفار قضاءً لحق الأبوة، وإنْ كان قد صدر منه إغلاظ.

كل هذه العبارات اللطيفة جاء بها إبراهيم عليه السلام مع أبيه، عبارات خرجت من قلب رحيم أواه، متلطف بأبيه، خائف عليه، شاعرٍ بالمسؤولية اتجاهه.

٤) كليم الله تعالى موسى عليه السلام:

من أكثر القصص القرآنية ذكرًا هي قصة نبي الله موسى عليه السلام، وقد جاءت حياته عليه السلام على مراحل كثيرة فمن الولادة وإلقائه في اليمّ، وإعادته إلى أحضان أمه رضيعًا، ونشأته في بيت عدوه، وهروبه إلى مدين وعمله عشر سنين أجيرًا، حتى كلمه الله تعالى وأرسله نبيًا إلى فرعون مع أخيه هارون عليه السلام، ومواجهته للسحرة وانتصاره عليهم، وخروجه ببني اسرائيل وإغراق فرعون وقومه، وما حدث من الآيات التسع لبني اسرائيل، وغير ذلك من الحوادث والمواجهات التي ذكرها القرآن الكريم.[٤]

والذي يعنينا في هذا البحث دقيقة من دقائق مرحلة الدعوة المباركة، إذ أمر الله تعالى رسوله موسى عليه السلام أن يذهب داعيًا ومنقذًا، داعيًا فرعون إلى الرشد وطريق الحق وترك الظلم والغواية، ومنقذًا لبني إسرائيل الذين شهدوا الظلم والتعذيب والقتل والاستحياء والاستعباد.

طلب سيدنا موسى عليه السلام من الله ﷻ أن يكون معه في هذه المهمة أخاه هارون عليه السلام، وزيرًا ومساعدًا يشدُّ به إزره، ويشاركه الدعوة والاقناع، فأعطاه الله تعالى ما أراد وتمنى.

وقبل الارسال والمواجهة التي تحمل في طياتها المخاوف والغرائب المستقبلية، طمأنه الله تعالى فقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[٥]، ﴿لَا تَخَفۡ﴾[٦]، ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[٧]، ثم أعلمه الله ﷻ ما يقولان لفرعون، والطريقة التي يتكلمان بها، والحجة التي يحتجان بها.

---

(١) ينظر: العين: ٣٠٦/٣، مادة حفو.
(٢) الصحاح تاج اللغة: ٢٣١٦/٦، مادة حفا.
(٣) سورة مريم، جزء من الآية ٤٦.
(٤) كما حدث مع الخضر عليه السلام، وقارون والسامري.
(٥) سورة طه، جزء من الآية ٤٦.
(٦) سورة طه، جزء من الآية ٦٨.
(٧) سورة النمل، جزء من الآية ١٠.

قال تعالى: ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[١].

قال الله مخاطبًا موسى وهارون: اذهبا إلى فرعون، بآياتي الشاهدة ومعجزاتي الظاهرة، إلى فرعون الطاغية المتكبر، إلى فرعون الذي عبّد بني إسرائيل وجعل أعزة أهلها أذلة، فاستحيا نساءهم وقتل أولادهم واستعبد شبابهم وشيبهم على مرِّ سنوات طوال، يأخذ خيراتهم ويستضعف قوتهم، ومع هذا كله، لم يكن حاله مع البشر فحسب، بل إنه كان متكبرًا على رب البشر؛ إذ كان يدعي أنه ربهم المعبود، والإله الخالق لهم ولخيراتهم، وأنه رب السماوات والأرض، ولم يعلم لهم إلهًا غيره، -تعالى الله عما يقول-.

مع وصول فرعون لهذه الدرجة من الطغيان والجبروت والتعالي على الله تعالى وعلى عباده، يأمر الله موسى عليه السلام بالطريقة المثلى والقيم العليا التي يجب أن يتحلى بها النبي المرسل ومن ورائه الداعية الناجح، تتلخص الطريقة في جانبين:

- **جانب شخصي:** ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾، الاستمرار بالذكر والإكثار منه، وعدم الفتور عنه.

(لا): حرف نهي، (تنيا): فعل مضارع من: ونى ينى، والونى بمعنى الضعف والفتور.[٢]

وللذكر فوائد كثيرة في ربط القلب وتقويته عند مواجهة الشدائد ولقاء الأعداء، فإن الله تعالى يلقي سلطانًا وقوة للذاكر؛ إذ يجعله قريبًا منه، ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[٣]، ولذلك أمر الله تعالى المؤمنين بالإكثار من ذكره ﷻ عند لقاء العدو، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ...﴾[٤].

قال الزمخشري في معنى الآية: "أي: لا تنسياني ولا أزال منكما على ذكر حيث تقلبتما واتخذا ذكري جناحًا تصيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني، معتقدين أن أمرًا من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكري"[٥].

---

(١) سورة طه، من الآيات: ٤٢-٤٦.
(٢) ينظر: الكشاف: ٤٩/٣.
(٣) سورة البقرة، جزء من الآية ١٥٢.
(٤) سورة الانفال: الآية ٤٥.
(٥) الكشاف: ٤٩/٣.

قال الدكتور صلاح الخالدي: "وإن موسى وهارون عليهم السلام مُقْدِمَان على خطوة خطيرة حيث سيواجهان أعتى كافر، وفرعون يملك الكثير من مظاهر القوة والبطش والطغيان، ولا يعينهما في تحدّيه ومواجهته إلا الله القوي الجبار، لذلك أرشدهما الله إلى الاكثار من ذكره ونهاهما عن الضعف والوني والفتور فقال لهما: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾"(١).

- **جانب دعوي:** ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾، وجه الله تعالى موسى وهارون إلى أهم الكلمات التي سيقولانها لفرعون، وطريقة المخاطبة له، فقال لهما: ﴿قَوْلًا لَّيِّنًا﴾، فمع ما كان عليه فرعون من عتو واستكبار، يكن موسى ملاطفا لينا، بأجمل الكلمات التي تنبئ عن جمالية الرسالة، وألطف العبارات التي من خلالها استخراج كوامن الخير في فرعون، فقد تسهم العبارات اللطيفة وتتفاعل مع صدقك لتدخل فؤاده، فيذكّر أو يخشى، فيعرف الحق ويبتعد عن الباطل، ويؤمن بالله تعالى، ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾، ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾(٢)، وقد اختلف أهل العلم بتفسير القول اللين على أقوال، منها:

١. وَعْدُهُ بشبابٍ لا هرم بعده، ومُلكًا لا ينزعه إلا الموت، ولذة دائمية في المأكل والمشرب(٣).
٢. القول اللين بأن ينطق بالشهادة: (لا إله إلا الله)(٤).
٣. مخاطبته بكنية يحبها وليس باسمه المجرد(٥).

ولعل ليونة القول تكون في كل ما مضى وغيره، فتكون في الألفاظ والعبارات والأسلوب، حتى في نبرة الصوت وكيفية القول، هذا ما أمر به الله تعالى نبيه موسى.

وقد جاءت كلمة "لَعلَّ" في القرآن الكريم على وجوه أهمها:

لتوقع حصول ما بعدها، واحتمال تحققه، والتوقع هنا موسى وهارون عليهما السلام، أي: قولا لفرعون القول اللين مع رجائكم أن يتذكر أو يخشى، والخطاب وإن كان مع موسى عليه السلام .. فإن هارون تابع له، فجعل الخطاب معه خطابا مع هارون(٦).

---

(١) القصص القرآني: ٣٩٣/٢.
(٢) سورة النازعات: الآيتان ١٨-١٩.
(٣) ينظر: الكشاف: ٤٩/٣.
(٤) ينظر: الكشاف: ٤٩/٣.
(٥) ينظر: الكشاف: ٤٩/٣.
(٦) ينظر: اللين والشدة في الدعوة دراسة قرآنية: ص٢٢.

ولما أن بلغ موسى وهارون قصر فرعون عليهما السلام، وتوجها نحوه ليبلغاه الدعوة ويقيما الحجة عليه، فعل ما أمر الله تعالى به أول الأمر، فبدأ موسى بالكلمات اللينة، فعرفه بنفسه ورسالته، فجابه فرعونُ اللين بالقسوة والرقة بالغلظة؛ ولم يحدث المأمول؛ إذ لم يكن لفرعون جوابًا كريمًا، وإنَّما كان رده مليئًا بالوقاحة والتصعيد، كما جاء ذلك صريحًا في قول الله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ...﴾(١).

ثانيًا: الصالحون عليهم الرضوان:

١) لقمان الحكيم:

من سور القرآن الكريم سورة لقمان، وقد أكرمه الله تعالى بالحكمة وهي: "العَقلَ والعِلمَ والعملَ به والإصابة في الأمور"(٢)، وقد ذهب جمهور العلماء عَلَى أَنَّهُ كَانَ حَكِيمًا وَلَمْ يَكُنْ نَبِيًّا(٣)، تتلمذ على يد الأنبياء، وتتلمذ له الأنبياء(٤)، كان أسود اللون أبيض القلب، اشتهر بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد بلغ تلك الرتبة العلية بسبب صدقه وأمانته وتركه ما لا يعنيه، "عَنْ مَالِكٍ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ، قِيلَ لَهُ: مَا بَلَغَ بِكَ مَا نَرَى؟ قَالَ: صِدقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ وَتَرْكِي مَا لَا يَعْنِينِي"(٥).

وقد حكى القرآن الكريم لنا أجمل مواعظ لقمان الحكيم، وهو يربي ولده على ما فيه خيرًا الدنيا والآخرة، فيوجهه بإصلاح علاقته مع ربه تبارك وتعالى، ومع والديه ومع نفسه والناس أجمعين، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ

---

(١) سورة الاسراء: الآيتان: ١٠١-١٠٢.

(٢) معالم التنزيل: ٥٨٧/٣.

(٣) ينظر: معالم التنزيل: ٥٨٧/٣، مدارك التنزيل: ٧١٣/٢.

(٤) ينظر: مدارك التنزيل: ٧١٣/٢.

(٥) حلية الأولياء: ٣٢٨/٦.

لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾[١].

يعظ لقمان ابنه بكل حنان وعطف ويوجهه بتوحيد الله تعالى، وعدم الشرك به شيئًا؛ فإنه تجاوز للحد وظلم للنفس الإنسانية أيما ظلم.

ثم يوصيه بعبارة مليئة باللين والرفق بالإحسان لوالديه والتعامل معهم بأكمل الوجوه وأحسنها، وطاعتهما ومصاحبتهما بالمعروف، وعليه متابعة طريق أهل الحق والإنابة والتزامه.

ثم يوجهه مصاحبا العطف بمراقبة الله تعالى في كل حين، ومحاسبة النفس، وألا يستحقر ذنبًا صغيرًا أو كبيرًا.

ثم يوصيه بملاطفة ملازمة وكلمات رقيقة مليئة بالرحمة بإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الحياة وما يلاقيه من بلايا الأمور، وأن يكون هينًا لينًا حسن المعاشرة مع الناس، بعدم التكبر والغرور واحتقار الناس، وأن يمشي مقتصدًا بينهم، غاضًا من صوته، غير صخاب ولا نصاب.

إن المتأمل والمتأني في هذه الوصايا النيّرة كلها يجد عاملاً بارزًا وجانبا متكررًا فيها، باستعمال العبارات الدالة على اللين والاستعطاف والتحنن بمناداته: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾، قال الشيخ محمد الأمين: "تصغيرُ ابن صغّره للشفقة والمحبَّة وصِغر السن"[٢]، وقال الشيخ الزحيلي: "حرصا عليه؛ لأن الأب يحب ابنه وهو أشفق الناس عليه"[٣].

وفي تكرار العبارة ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ التأكيد على مداومة جانب اللين وملازمته، والاستعطاف في الوصايا التي يراد منها الاهتمام، واستخدام أسلوب الحب والشفقة وإشعار الولد بأنّ النصيحة نابعة من باب الخوف عليه والحرص على مصلحته، وعدم استخدام الألفاظ الجارحة والكلمات التي من شأنها الإنقاص من قيمة الابن، ليزيد من تقبل الابن لنصح الاب.

ويلحظ من تكرار لفظ ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ أنّ هذه الأمور لا يكفي ذكرها لأبنائنا مرة واحدة فقط، إنما يجب تكرارها دائما بحسب الظروف والأحوال واستغلال الفرص المناسبة لتعميقها وتأكيدها

(١) سورة لقمان، الآيات ١٣-١٩.
(٢) تفسير حدائق الروح والريحان: ٣١٦/١٣.
(٣) التفسير المنير للزحيلي: ١٤٥/٢١.

لدى الطفل وترسيخها في فكره وذهنه، فلا يحتاج إلى من يعلمه ويدفعه إلى الخير بل يصير هو بنفسه مندفعا نحوه، محبا للصلاح والهدى.

٢) مؤمن سورة يس:

وهكذا المؤمن في سورة يس، قد اختار في دعوته ونصحه لقومه أجمل ألفاظ النداء، وألطف العبارات ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ شأنه شأن الأنبياء والمرسلين الذين استعملوا تلك العبارات بنداء أقوامهم، قال الإمام أبو السعود: "تعرض لعُنوانِ رسالتهم حثًّا لهم على اتِّباعِهم كما أنَّ خطابَهم بـ﴿يَٰقَوۡمِ﴾؛ لتأليفِ قلوبِهم واستمالتِها نحو قبولِ نصيحتِه"(١).

قال الله تعالى في شأن هذا العبد: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾(٢).

لما أرسل الله تعالى بعض أنبيائه لتلك المدينة، كذّبهم القوم، وهَمُّوا بِقَتْلِ رُسُلِهِمْ، جاءَهُم رجلٌ مؤمنٌ يسكنُ أقصَى المدينةِ يسير مسرعًا؛ لنصرة الحق على الباطل، واسمه: حَبِيب بْن مَرَى، واختلف أهل العلم في عمله، والمشهور أنه كان حطابًا نجارًا، كثيرَ الصَّدقة يتصدَّقُ بِنِصْفِ كَسْبِهِ، كثير العبادة(٣).

لما وصل حبيبٌ إلى القوم، حضَّهم على اتِّباعِ الرُسلِ الذين أتوهم، وأمرهم بكل عطف ولين قائلاً لهم: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾، يا قومي الذين أنا منكم وأنتم مني، اسمعوا كلامهم فإنهم لا يطلبون على إبلاغِ الرِّسالة أجرةً، فَهُم مُهتدون فيما يدعونَكم إليهِ، أما أنا فإني معهم فيما يدعون، وعلى دينهم الذي يأمرون، ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾، وما يمنعني مِن عبادته تعالى والإخلاص له، فهو الذي خلقني وأوجدني وأنشأني، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾، وإليه تعودون يوم المعاد، فيجازي العباد على ما عملوا، "إن خيرًا فخيرٌ وإنَّ شرًّا فشرٌّ"(٤).

---

(١) إرشاد العقل السليم: ١٦٣/٧.

(٢) سورة يس، الآيات: ٢٠-٢٥.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥٠٦/٦.

(٤) جامع البيان: ٤٥٢/٧، تفسير القرآن العظيم: ٥٠٦/٦.

ISSN: 2071-6028

وكيف تريدون مني أن أتخذ من دونِ اللهِ تعالى آلِهَةً لا تملك من الأمر شيئًا، فلو أرادني الله بِسُوءٍ ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾[١]، فالأَصنامُ لا تَملِكُ نفعي ولا ضري ولا إنقاذي من عذاب الله تعالى[٢].

ولما نصح قومه ودعاهم بكل هذا العطف واللين، مجادلاً لهم بكلمات العطف والحنان هرعوا لرجمه، فأسرع نحو المرسلين قبل أن يقتل فقال لهم: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ اسمعوا يا قومي واشهدوا أني مؤمن معكم[٣].

(١) سورة يونس: جزء من الآية ١٠٧.
(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥٠٦/٦.
(٣) ينظر: مدارك التنزيل: ١٠١/٣.

الخاتمة

في هذه المسيرة العلمية خلصنا مما ذكرناه في هذا البحث بفوائد ونتائج نلخصها فيما يأتي:

١. اللّين من صفات الأنبياء والمؤمنين الصالحين، وهو أثر من آثار رحمة الله تعالى، فوائده كثيرة، أهمها: خير سبيل يعطف قلوب النّاس ويجمعهم، وهو أقرب إلى الإجابة والقبول ولاسيما في مجال الدّعوة إلى الله ﷻ، وهو يجلب السّماحة والمودّة ويستدعي رحمة الله تعالى.

٢. للين مظاهر يتضح بها، تبرز على من يتصف بها أهمها: التواضع وخفض الجناح مع الخلق، والمجادلة بالتي هي أحسن مع المخالف في الآراء، والهجر الجميل للمخاصم، والحرص الشديد على هداية الخلق للحق والصراط المستقيم.

٣. ديننا العظيم دين الفطرة السليمة، دين السلامة والرفق، لكن هذا لا يعني أن نجعلَ مقياس اللين والشدة في أي أمر من الأمور ما تهواه الأنفس والأهواء، وإن خفي الأمر فمما لا شك فيه أنّ سلوك اللين والتيسير هو المقدم.

٤. اللين والرفق وسيلة عظيمة في اصلاح مشاكل المجتمع وهو الحل الامثل لها.

٥. لا بد للخطاب بكل اشكاله الديني والسياسي والاجتماعي وغيره، أن يعود الى أصله بالاعتدال والوسطية ليكون سبيلا للتعايش السلمي بين أطياف المجتمع، وخير وسيلة لذلك هو اللين والعطف والرحمة.

المصادر

- بعد القرآن الكريم

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم «تفسير أبي السعود»، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
٦. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه «صحيح البخاري»، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.
٨. حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

١٠. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.
١١. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٢. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٣. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
١٤. شرحُ صحيح مسلمِ «إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم»، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٦. العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٧. فَتْحُ الْقَدِيرِ الْجَامِعُ بَيْنَ فَنَّيِ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ من التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
١٨. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، د. صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢٠. اللين والشدة في الدعوة –دراسة قرآنية–، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، غزة، إعداد: أسماء جميل أحمد محمود، إشراف الدكتور: وليد محمد حسن العامودي، ١٤٣٣هـ–٢٠١٢م.
٢١. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.
٢٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.
٢٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن «تفسير البغوي»، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي لشافعي (ت ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٥. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
٢٦. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.
٢٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.